

الفلسفة اليونانية

الدكتورة / نبأ عبد الستار جابر

٤ هرقليطس :-

وهو رابع الفلاسفة الطبيعيين ، ولد في مدينه أفسوس من أسرة عريقة في الحسب ، لكنه عرف عنه بالزهد عن الترف والجاه ، واتجه نحو التفكير والعلم ، لكنه في نفس الوقت كان أرسقراطيا بكل معنى الكلمة ، يعتقد بنفسه ويباعد بينه وبين الناس ، يحتقر العامة والمعتقدات الدينية لديهم ، وينقم من هوميروس وهزيود على اعتبار انهم من ادخل الخرافات والأضاليل في المدينة ، كما نقد العلماء أمثال فيثاغوراس واكسانوفان ، لان ما جاؤا به هو علوم جزئية متغيرة ، لا تمت العقل بصله ، لان الجدير بالمعرفة والعلم هو العلوم الكلية الثابتة ، عرف عنه بالفيلسوف الغامض ، لان فلسفته كانت عبارة عن رموز وإشارات ، إذ كان لا يفصح عن الفكر ولا يخفيه .

أن مبدأ فلسفة هرقليطس هي (الأشياء في تغير متصل) ، وهذا ملخص مذهبه ، وهو يمثل له بصورتين أو حالتين وهي الأولى (جريان الماء) فيقول " أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فإن مياهها جديدة تجري من حولك ابدأ " ، والثانية هي (اضطرام النار) هي ان النار اسرع حركة وادل على التغيير ، فهو يرى في النار المبدأ الأول الذي تصدر عنه الأشياء وترجع اليه .

ويرى هرقليطس لولا التغير لم يكن شيء فان الاستقرار موت وعدم ، والتغير صراع بين الأضداد ، ليحل بعضها محل بعض ، فالشقاق هو أبو الأشياء وملكها ، فمثلاً لولا المرض لما انتهينا الصحة ، ولولا العمل لما نعمة بالراحة ، ولولا الخطر لما كانت الشجاعة ، ولولا الشر لما كان الخير ، وهذا ما يمثل لنا صراع الأضداد ، فيرى هرقليطس أن النار تحيي موت الهواء ، والهواء يحيي موت النار ، والماء يحيي موت التراب ، والتراب يحيي موت الماء ، والحيوان يحيي موت النبات ، والأنسان يحيي موت الاثنين ، فالوجود موت يتلاشى ، والموت وجود يزول ، كذلك الخير شر يتلاشى ، والشر خير يزول ، فالخير

والشر والكون والفساد أمور تتلازم وتتسجم في النظام العام بحيث يمتنع تعيين خصائص ثابتة للأشياء ، فيرى هرقليطس " أن ماء البحر أنقى واكثر ماء يشربه السمك ، لكن لا يستسيغه الإنسان ، هو نافع للأول ضار للثاني ، ونحن موجودين وغير موجودين ، من حيث أن الفناء (الموت) يدب فينا في كل لحظة ، فكل شيء هو كذا .

كما يرى هرقليطس في النار هي المبدأ الأول للأشياء ، لكن هذه النار تختلف عن النار التي ندركها بالحواس ، بل هي نار الهية لطيفة جداً اثيرية ، نسمة حارة حية عاقلة ازلية ابدية تملأ العالم ، يعترئها وهن فتصبح حينها ناراً محسوسة ، وللنار صور مختلفة منها (عند التكاثف تصبح بحراً ، وعند التكاثف بعض البحر تصبح ارضاً ، وعندما ترتفع من البحر والأرض ابخره رطبة تتراكم سحباً فتلتهب وتتقدح منها البروق ، وتعود النار أو تنطفئ هذه السحب فتكون العاصفة وتعود النار إلى البحر من جديد) .

فالتغير له طريقين متعارضين ، طريق إلى الأسفل وطريق إلى الأعلى ، مع بقاء المادة الأولى ثابتة (النار) ، ومن خلال هذا التيارين يتولد النبات والحيوان على وجه الأرض ، وكل هذا يسير وفق قانون اطلق عليه هرقليطس بـ (اللوغوس) ، وان العالم لم يصنعه احد من الإلهة أو البشر ، بل هو كائن وسيكون ناراً الهية تستعر بمقدار وتنطفئ بمقدار ، وهذه النار هي الله .

أما النفس عند هرقليطس فهي بخار حار ، والحرارة ضرورية للحي ، وهي قبس من النار الإلهية تدبر الجسم كما تدبر النار العالم . كما أن النفس تعلم قانونها ولا تخالفه ، وعليه نستنتج مما سبق أن هرقليطس يقول بوحدة الوجود التي تعني أن شيئاً واحداً هو الموجود ، وان ما عداه مظاهر وظواهر ، والتغير يعني أن كل موجود جزئي فهو كذا وليس كذا في آن واحد .

